وصايا الجنوبي العشر*

. محمد ديبو .

- ١ -

لا تُوطِّنْ...
ولو سكّنوكَ جنانَ الخلودِ.
لا تُعوِّضْ...
ولو عشتَ عيشَ العبيدِ.
لا توطِّنْ...
ولو قيَّدوكَ بقيْدِ القيودِ.
لا تعوِّضْ...
ولو عوَّضوكَ
بمالِ الجزيرةِ،
نفطِ العربْ.
لا توطِّنْ...
ولو مدنَ الشرقِ والمالِ
أهدوكَ، قالوا:
هيَ لكْ.

- ٢ -

لا توطِّنْ...
ولوْ سكّنوكَ قصورَ المنافي.
فلسطينُ، أنتَ مكانُك، لا
لا سواها
مكانٌ مكانَكْ.
فلسطينُ: أرضُكْ،
مكانُكْ،
مجازُكْ،
زمانُكْ.
مكانُكَ أنتَ: فلسطينُ، رائحةُ البنِّ عندَ الصباحِ
وبيّارةُ البرتقالِ، صدى الشهداءِ،
صهيلُ الجليلِ.
زمانُكَ أنتَ: فلسطينُ، موسمُ قمحٍ، وصيَّةُ أمٍّ،
صراخُ الصبيَّهْ
على كلِّ منفًى وبابْ:
لا توطِّنْ.

- ٣ -

لا تُصدِّقْ
بأنَّ بيوتَ أخيكَ كبيتكْ،
وأنَّ نقودَ أبيكَ كمَالكْ.
وما حَكَّ جلدَكَ إلا أظافرْ
تَغرسُها بعيونِ الذينَ يقولونَ:
وطِّنْ وعوِّضْ.
فنادِ...
بوجهٍ حقودٍ، بهمْ اصْرخْ:
كلابَ الليالي،
ذئابَ الكراسي،
تبيعونَ دمي عقارًا
تبيعونَ أرضي قمارًا
تبيعون تاريخَ شعبي: سفاتجْ
مرارًا
مرارا.

- ٤ -

يقولونَ: «مرَّ الزمانُ
فكُفَّ الأذى، واتَّقِ الشرَّ وانْسَ.»
أتنْسى؟
وماذا ستَنْسى؟
أتَنْسى دماءَكَ سالتَ على
كلِّ بابٍ ومنفى؟
أتنسى الذينَ أذلّوكَ
عندَ صليبِ المسيحِ؟
أتنسى وصايا «الجنوبيِّ»؟
أتنسى أنينَ الصبايا، وهنَّ
يشاهدْنَ أمَّكَ تُغْتَصَبُ الفجرَ
فوقَ فراشِ أبيكَ؟
أتنْسى
الدماءَ، الدموعَ، الشهيدَ، عراءَ المنافي
حنينَ الطفولةِ،
طفلةَ حُزْنٍ صغيرهْ،
تنادي اليمامهْ،
لتأخذَ منها وشاحَ السوادِ،
وتذروهُ فوقَ جبالِ
الجليلِ:

* - الجنوبيّ هو الشاعرُ أمل دنقل، الذي كتب القصيدة المشهورة «مقتل كليْب والوصايا العشر،» والتي اصطلَحَ الناسُ على تسميتها «لا تصالحْ.» وكان قد كَتَبَ القصيدةَ صرخةَ غضبٍ واحتجاج في وجه السادات، الذي دعا إلى الصلح مع إسرائيل.

عمامهْ؟
أتنسى؟
ولو كلَّ هذا نسيتَ
أتنسى الوطنْ،
أمْ جنوحَ الطفولةِ تنسى؟
ورائحةَ الأمهاتِ أتنسى؟
وطعمَ الحليبِ على صدرهنَّ
يُعَشْعِشُ لوزًا وتينًا
ويَصْدَحُ صوتُ الغَجَرْ
سنابلَ قمحٍ تغني
وليلاً يناجي القَمَرْ؟
في سماءِ فلسطينَ،
يحلو السَّهَرْ:
نجومٌ تغازلُ بعضًا،
وأخرى تراقبُ
هذا السَّفَرْ،
وربٌّ يدندنُ عشقًا:
فلسطينَ، حبًّا، هيامًا
عقيقًا،
سَحَرْ.
ولو كلَّ هذا نسيتَ
أتَنْسى
بأنْ ليسَ لدَيْكَ وطنْ؟

ـ ٥ ـ

لا تعوِّضْ...
وإنْ بعتَ أرضَكَ، سوفَ ـ إلَى أبدِ الدهرِ ـ
تبقى حذاءً تدوسُ عليهْ
كلابُ الطريقِ،
وتَأْبى قرادُ الخيولِ
الجلوسَ عليهْ،
وتبقى حياتُكَ أنتَ
سُدًى في سُدَى.
ستبقى أبَدَ الدهرِ ملعونًا
إنْ بعتَ أرضَ بلادكْ.
أنا أوَّلُ اللاعنين
سأَلْعَنُ مَنْ أنجبَكْ.
وأرسمُ وجهَكَ فوقَ جدارِ المنافي،
وفوقَ ترابِ بلادي.
أقولُ لأطفالِ يافا
وحيفا وكلِّ فلسطينْ،
الذينَ سيأتونَ يومًا
وعنْ وطنٍ
يبحثونْ؛
أقولُ لهمْ:
ذي وجوهُ الذينَ
بمالٍ خسيسٍ،
وبضعِ قروشٍ قليلهْ
فلسطينَ باعوا
وحُلْمَ الطفولهْ!

ـ ٦ ـ

لا توطِّنْ...
ولو لكَ قالوا:
«سيأتي السلامْ،
فخذْ ما تحصِّلُهُ الآنَ
قبلَ فواتِ الأوانْ.»
سلامًا هزيلاً
يكونْ.
ستمحوهُ أحجارُ طفلٍ
يعربدُ رقصًا،
ويهويْ
شهيدَ المَنُونْ.

ـ ٧ ـ

لا توطِّنْ...
ولو في مخيمِ بؤسٍ
بقيتَ زمنْ.

لا توطِّنْ...
ولو باعَكَ القادةُ النائمونَ
على عرشِ المِحَنْ.
يدورُ الزمانُ
وتُرْمى كراسي العروشِ،
وأنتَ ستبقى
ومهما يطولُ
الزمنْ.

ـ ٨ ـ

لا توطِّنْ...
وكنْ، يا حبيبي،
جديراً بما سوفَ يأتي...
جديراً برائحةِ الإنتظارِ،
شذَى الياسمينِ،
لمى البرتقالِ المعتَّقْ.
جديراً بليلٍ طويلٍ
ينزُّ الصباحَ، رويداً،
وعطراً منَشَّقْ.
جديراً بحلم له الشمسُ دومًا
تُشِعُّ ضياءً ونصراً
محقَّقْ.
جديراً بقُدْسٍ
لها الليلُ دومًا، يُنَارُ دماءً
لطفلٍ ينامُ ويُعْشَقْ.
لا توطِّنْ...
وكنْ، يا حبيبي،
جديراً بما سوفَ يأتي:
ضياءً وفجراً معتَّقْ.
لديكَ
بلادٌ إليها تعودُ،
وأرضٌ تحنُّ إلى عاشقيها،
حنيناً بناي الورودِ
مُمَوْسَقْ.

ـ ٩ ـ

لا توطِّنْ...
ولو نصّبوكَ إلهًا.
لا توطِّنْ...
ولو لكَ قالتْ
ملوكُ الجزيرهْ،
شيوخُ القبيلهْ،
خنازيرُ طاولةٍ مستديرهْ!
لا توطِّنْ...
ولو سكّنوكَ قصورَ السماءِ المنيرهْ.
أيعطيكَ وَمْضُ القصورِ
حنانَ الوطنْ؟
أيعطيكَ كسرةَ خبزٍ لها ما لَهَا
من مذاقِ الشَّجَنْ؟
أيعطيكَ صوتَ اليمامِ هديلاً؟
فلسطينُ وردي، شرايينُ روحي
كتبتُ اسمَكِ الحلوَ
وشمًا، لُجَيْنًا،
على همهماتِ الزمنْ.
في سماءِ فلسطينَ
يحلو الشَّجَنْ.
نجومٌ تغازلُ بعضًا،
وأخرى تراقبُ هذي
السُّفُنْ،
وربٌّ يدندنُ جوعًا:
جهنمُ مأوى
لمنْ باعَ ميلاً من العشقِ،
أو خارجَ الأرضِ
وَطَّنْ!

ـ ١٠ ـ

لا
توطِّنْ...

طرطوس